قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ ق سنة ١٣٣٨ ـ ٢١ الاسد (ص ٣) سنة ١٢٩٨ هش ١٤ اغسطس سنة ١٩٢٠

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء . وأننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ القرآن كلام الله لا كلام جبريل ولا محمد عليهما السلام ﴾

(س ١) من الشيخ محمد عريقات وامام مسجد عز الدين في (برنبال) غربية حضرة صاحب الفضيلة مولانا رشيد الامة ومرشدها الاوحد

أعرض على فضيلتكم مسألة علمية أرجو التكرم بافادتي بالقول الفصل فيها ولكم جزيل الثواب

وهي مسألة المنزل من القرآن هو اللفظ والمعنى أو المعنى فقط وعبر باللفظ محمد عليه السلام أو جبريل كما ذكره الباجوري على الجوهرة عند قول الناظم (ونزه القرآن أي كلامه الخ) مع ترجيحه للقول الاول الذي هو اللفظ والمعنى معبرا عنه بالراجح مع أنهم ذكروا في الاصول من شروط الترجيح التساوي في القوة فلا ترجيح بين

القطعي والظني بل يقدم القطعي اتفاقا. والمتبادر لي أن من المعلوم من الدين بالضرورة أن القرآن كلام الله حقيقة وانه المعجز الاكبر المتحدى به حقيقة كما لايخفى هذا ونصوص القرآن والسنة الناطقة بنزول القرآن بلفظه ومعناه كثيرة جدا لاتخفى على فضيلتكم كقوله تعالى (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا الخ) وقوله (إنا أنزلناه قرآنا عربيا) ومثلها كثير في القرآن وقوله (لاتحرك به لسانك) الخ وقوله(انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) الخ وقوله (الله نزل أحسن الحديث الخ) وقوله (إن هذا الا قول البشر سأصليه سقر) الخ وقوله (فانما يسرناه بلسانك) الخ وقوله (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) وقوله (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون) وقوله (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين* ثم قال بعدها — ولو نزلناه على بعض الاعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا مؤمنين — الخ وقوله (انه لقول فصل * وما هو بالهزل) وقوله(انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) وتتبع الآيات يطول ذكره ولا يخفى على فضيلتكم ، ومن السنة حديث متواتر ألا وهو قوله عليه السلام « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فهل بعد ذلك القول بالقول الثاني والثالث كفراً كما هو ظني أم لا؟ وهل القول بهما الآن يعد كفراً قطعا كما هو اعتقادي أم لا ؟ أرجو التكرم بالقول الشافي ، والجواب الكافي بالمنار الاغر في أقرب فرصة لا برحتم ملجأ للسائلين ، ونورا مبينا للمستضيئين ، آمين .

(الامضاء)

[المنار]ورد هذا السؤال منذ سنة ونصف وطال الامد على نشره والجواب عنه فأعاده صاحبه بالعبارة الآتية في أوائل هذا العام اذ كنا في سورية وهذا نصه :

فضيلة امام العصر الوحيد ، مولانا الاستاذ السيد محمد رشيد ، نفع الله به الأمة، وكشف به كل غمة آمين

هل القرآن كلام الله أو كلام محمد أو كلام جبريل ؟ واذا كان القطوع به المعلوم من الدين بالضرورة أن القرآن كلام الله تعالى فما الداعي للخلاف الذي ذكره السيوطي في الاتقان بان المنزل من القرآن هو اللفظ والمعنى أو المعنى فقط وعبر عنه محمد عليه السلام باللفظ العربي أو المعنى فقط أيضا وعبر عنه جبريل باللفظ

العربي ، وكذا ذكره الباجوري على الجوهرة مرجحا الأول والأمير على الجوهرة أيضا والخضري في مقدمة التفسير والرومي في تفسير (نزل به الروح الأمين على قلبك) الاية فهل هذا الخلاف له أصل مقبول معقول منقول أو انه مدسوس على أهل الملة ؟ وكيف يكون له أصل مع أن اعتقاد ظاهره كفر ؟ هذه مسألة من أهم أصول الدين ولا تقليد في الاصول فما بقي الا أن تقوموا بتحقيق الحق وازالة حجب الحيرة عنها وتتكرموا باقادتنا بالمنار أو بالبريد ولكم الشكر لا برحتم عضد الحق ونوال السائلين امين

(ج) ان الذي ندين الله تعالى به عن علم يقيني راسخ هو ان هذا القرآن العربي المكتوب في المصاحف المقروء بالالسنة باللغة العربية هو كلام الله تعالى المعجز للبشر ولغير البشر من الخلق وانه ليس لجبريل روح القدس منه الا تبليغه عن الله عز وجل لخاتم الرسل عليه الصلاة والسلام كما ان الرسول (ص) ليس له منه إلا تبليغه عن الله تعالى لمن أرسل اليهم . فجبريل عليه السلام تلقاه من الله عز وجل بالصفة التي تليق به تعالى ولا يعلمها من خلقه الا جبريل ، ومحمد (ص) تلقاه من جبريل بالوحي الذي لا يعرف كنهه الا الرسل الذين تلقوا مثله عن جبريل . والصحابة سمعوه من النبي (ص) كما سمعه منهم التابعون ومن تبعهم الى عصرنا هذا وكما يسمعه بعضنا من بعض بأصواتنا البشرية لا فرق بين قراءتنا له وقراءة من قبلنا الا بما نعلمه من التفاوت في التجويد وحسن الاداء

وانه ليعسر تعريف الكلام بحد جامع مانع تعرف به حقيقته منه كما يعسر تحديد مثله من الحقائق المعلومة بالضرورة . ومما يحسن ان يقال في تعريفه في الجملة انه صفة من صفات العالم وشأن من شؤونه يتمثل به علمه في نفسه وفي الخارج ، وما يتمثل به العلم في الخارج من الكلام يصل به الى غير صاحبه فيعلم به من يصل اليه من علم ذي الكلام ما تمثل له بصوت وحرف أو بكتابة ورسم أو بغير ذلك . فالانسان منا يتكلم في نفسه فيهيئ فيها ما يريد ان يقوله لزيد أو عمرو ، وينظم الشعر ثم ينطق به أو يكتبه ثم يقرأه ، وربما كتب شيئا ولم يقرأه . واذ نطق بالكلام المتمثل في نفسه رسم نطقه في الهواء بصورة أو صفة غير التي يرسم بها في الصحف فمن سمعه أدرك بسمعه مما رسم في الهواء عين ما هو مرسوم في لوح نفسه بصورة أخرى وكذلك

من رآه في الصحيفة يدرك مما رسم فيها غيره ما قام بنفس المتكلم وتمثل فيها من ذلك

وقد اخترع البشر في العصر الاخير وسائل لاداء الكلام وتبليغه لم يكن يعرفها ولا يعقلها أهل العصور السابقة كالتلغراف السلكي والتلغراف الهوائي أو اللاسلكي وكل منهما مظهر من مظاهر الكلام النفسي ووسائل اداته ويسمي كلاما حقيقيا لا مجازيا. وينسب كل كلام تلى من صدر عنه وكان مجلى كلامه النفسي، فالجملة من كلام زيد من الناس يتناقلها الناس بالسنتهم وأقلامهم وبآلات التلغراف والتلفون وكل منهم يقول إنها كلام زيد. فالكلام ما يتمثل به علم العالم لنفسه أو لغيره واختلاف صفة التمثيل للنفس ولغير النفس لا تمنع اطلاق اسم الكلام على كل منهما حقيقة، فمن يرى في القرطاس «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» يقول: إن هذا كلام امرئ القيس، ومن يسمع ذلك من لسان أي انسان يقول ذلك. ولم يقل أحد من العرب في هذا القول الذي كتب وعلق على الكعبة ثم كتب في الصحف وقرأه الناس إن لفظه المرسوم في الصحيفة هو كلام الراسم وإن الذي أنشد على الناس منه هو كلام المنشد وإن معناه لامرئ القيس فقط أو ان ما تمثل من هذا النظم في نفس امرئ القيس هو شعره وما نقرأه في الكتب أو من حفظنا لمعلقته هو كلامنا، ولا إن هذا كلامه مجازاً وذلك كلامه حقيقة، بل اجمعوا على أن هذه القصيدة كلامه وأنه ليس لرواتها بالقول والكتابة حظ منها الا النقل لكلام غيرهم

واذا قدر البشر على تمثيل كلامهم النفسي بعدة مظاهر لا يختلف مدلولها عن مدلول ما في أنفسهم فالله تعالى اقدر منهم على ابلاغ كلامه النفسي لرسله من الملائكة والناس بما يليق باستعداد كل منهم فلا غرو من ان يكون لوحيه للملائكة صفة غير صفة وحيه للرسل من البشر فيما يكلمهم به بغير واسطة الملك وان يكون لما يسمعه النبي من الملك صفة غير صفة ما يسمعه الملك من الرب سبحانه وتعالى، ولكن الكلام واحد في جميع مظاهره لا يختلف باختلاف طرق أدائه وتبليغه كما نعرفه في الكلام المسموع بالاذان والمقروء في الصحف والمأخوذ من آلة التلغراف السلكي أو الهوائي ومثله المرسوم في الهواء أو ما تكيف به الهواء، وبهذا المثال يظهر للمتأمل أن تجلي كلام الله تعالى في الالسنة والصحف والهواء وآلات التلغراف وفي اللوح المحفوظ وفي أنفس

الملائكة والبشر لا يخرجه عن كونه كلامه تعالى ولا يقتضي ان تكون صفة الكلام النفسية له تبارك وتعالى مشابهة لصفة الكلام في أنفس البشر أو غيرهم من خلقه تعالى ، ولا أن يكون تكليمه للملائكة ولموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كتكليم بعضنا لبعض ولكن مؤداه واحد فالذي نقرأه أو نكتبه في المصاحف هو عين ما نزل به الروح الامين على قلب محمد (ص) فتلقاه عنه بهذه اللغة العربية وهذا الاسلوب المعجز الذي يعجز عليه الصلاة والسلام كغيره من البشر عن مثله بمقتضى ملكته العربية، ولذلك نرى أسلوبه غير أسلوب الحديث ونظمه غير نظمه بل يكثر في الحديث من الالفاظ المترادفة والصيغ المفردة غير ما في القرآن كلفظ «عرفة» وهو لم يذكر في القرآن الا بلفظ «عرفات» ولفظ الصوم وانما ذكر في القرآن لفظ «الصيام»

ولو كان ما تلقاه النبي (ص) من كلام الله تعالى هو معاني القرآن دون عبارته لكان القرآن كلامه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا كلام الله تعالى ؛ لان الكلام هو العبارة التي تتجلى فيها المعاني من علم المتكلم ، ومن أخذ عن غيره علما من العلوم فهم منه القواعد والمسائل ثم كتب في ذلك كتابا فان ما في الكتاب من الكلام ينسب الى كاتبه لا الى استاذه الذي تلقى عنه تلك المعاني التي دونها في كتابه ، والقرآن كلام الله تعالى نسب اليه في آيات كثيرة كقوله (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) وفي أحاديث متعددة وأجمع على ذلك المسلمون وانما اختلف المتكلمون منهم في نظريات فلسفية في تعريف الكلام النفسي واللفظي وفي كونه من الصفات التي تقوم بذات الله تعالى أو التي لا تقوم بها تولد منها شبهات يصادم بعضها بعضا وكل ما خالف منها ما فهمه جمهور السلف الصالح من نصوص الكتاب والسنة فهو مردود على أهله بالنقل القطعي الذي لا مصادم له من البرهان العقلي .

وأول من أحدث هذه النظريات في الاسلام الجعد بن درهم وجهم بن صفوان ونصرت المعتزلة نظريات جهم وانخدع ببعضها كثير من أهل السنة وكان الامام أبو الحسن الاشعري من نظار المعتزلة ثم رجع الى مذهب أهل السنة ولكنه لم يترك

نظريائهم المخالفة للسلف كلها دفعة واحدة ومذهبه في مسألة الكلام الالهي لم يكن عين مذهب السلف ولا غيره من مذهب المعتزلة والجهمية وقد تبعه فيها كثير من كبار النظار كالقاضي أبي بكر الباقلاني وأشهر المصنفين في الكلام من أتباعه له عبارة في ذلك اتخذوها أصلا وفرعوا عليها ، لذلك صار ينقلها علماء العقائد والمفسرون وشراح الاحاديث في كتبهم ، ولا شك في كون بعض تلك البدع تعد خروجاً من الملة وكون بعضها يستلزم ذلك ولكن التحقيق عند علماء الاصول والكلام ان لازم المذهب ليس بمذهب ، وان أكثر أصحاب تلك النظريات المخالفة لظواهر نصوص الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح لم يقولوا بها الا عن شبهات عرضت لهم أو لغيرهم من المنكرين للاسلام فأرادوا أن يقيموا حجة الاسلام بما قاموه بحسب اجتهادهم مع اذعانهم لاحكامه وعلمهم به فكيف يقدم أحد على تكفيرهم مع ذلك.

وقد رجع أشهر محققي المتكلمين من الاشاعرة في مسألة الكلام والقرآن والصفات الى مذهب السلف في أواخر أعمارهم ومنهم من ارجع كلام مخالفي السلف من أئمتهم الى وفاق واليك ما قاله في مسألة الكلام علامتهم المعضد صاحب كتاب المواقف الشهير ونقله عنه في شرحه له السيد الجرجاني قال :

« واعلم أن للمصنف مقالة مفردة في تحقيق كلام الله تعالى على وفق ما أشار اليه في خطبة الكتاب ومحصولها أن لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ وأخرى على الامر القائم بالغير ، فالشيخ الاشعري لما قال الكلام هو المعنى النفسي فهم الاصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده وهو القديم عنده ، وأما العبارات فانما تسمى كلاما مجازا لدلالتها على ما هو كلام حقيقي حتى صرحوا بان الالفاظ حادثة على مذهبه أيضاً لكنها ليست كلامه حقيقة. وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة كعدم اكفار من أنكر كلامية ما بين دفتي المصحف مع أنه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى حقيقة ، وكعدم المعارضة والتحدي بكلام الله الحقيقي ، وكعدم كون المقروء والمحفوظ كلامه حقيقة - إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن في الاحكام الدينية فوجب حمل كلام الشيخ على أنه أراد به المعنى الثاني فيكون الكلام النفسي عنده أمرا شاملا للفظ والمعنى جميعاً قائما بذات الله تعالى وهو

مكتوب في المصاحف مقروء بالالسن محفوظ في الصدور ، وهو غير الكتابة والقراءة والحفظ الحادثة . وما يقال من أن الحروف والالفاظ مترتبة متعاقبة فجوابه أن ذلك الترتب انما هو في التلفظ بسبب عدم مساعدة الآلة فالتلفظ حادث والادلة الدالة على الحدوث يجب حملها على حدوث اللفظ دون حدوث الملفوظ جمعاً بين الادلة. وهذا الذي ذكرناه وان كان مخالفاً لما عليه متأخرو أصحابنا الا أنه بعد التأمل تعرف حقيقته. تم كلامه

(قال السيد) « وهذا المحمل لكلام الشيخ (أي الاشعري) مما اختاره الشيخ محمد الشهرستاني في كتابه المسمى بنهاية الاقدام ولا شبهة في انه اقرب الى الاحكام الظاهرية المنسوبة الى قواعد الملة اه فالسيد الجرجاني قد ارتضاه أيضاً »

وقول السيد في مقدمة العبارة « على وفق ما أشار اليه في خطبة الكتاب » يعني به قول صاحب المواقف في الكلام على رسالة النبي (ص) من الخطبة مانصه « وانزل معه كتابا عربيا مبينا ، فأكمل لعباده دينهم وأتم عليهم نعمته ورضي لهم الاسلام دينا ، كتابا كريما ، وقرآنا قديما ، ذا غايات ومواقف ، محفوظا في القلوب مقروءا بالالسن مكتوبا في المصاحف ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يتطرق اليه نسخ ولا تحريف في أصله او وصفه »

قال السيد الشارح في شرح ماقبل الجملتين الاخيرتين من هذه الاوصاف والنعوت : وصف القرآن بالقدم ثم صرح بما يدل على انه هذه العبارة المنظومة كما هو مذهب السلف حيث قال ان الحفظ والقراءة والكتابة حادثة لكن متعلقها اعني المحفوظ والمقروء والمكتوب قديم ، وما يتوهم من ان ترتب الكلمات والحروف وعروض الانتهاء والوقوف مما يدل على الحدوث فباطل لان ذلك لقصور في آلات القراءة . واما ما اشتهر عن الشيخ ابي الحسن الاشعري من ان القديم معنى قائم بذاته قد عبر عنه بهذه العبارات الحادثة فقد قيل انه غالط من الناقل منشأه اشتراك لفظ « المعنى » بين مايقابل اللفظ وبين مايقوم بغيره . وسيزداد ذلك وضوحا فيما بعد ان شاء الله تعالى » اه

ونقول اذا كان ماذكره « العلامة العضد » ووافقه عليه « السيد السند » هو مراد الشيخ الاشعري من عبارته المشهورة ـ التي لايبعد ظاهرها الذي تمسك به

جمهور أتباعه عن نظريات أصحابه القدماء من المعتزلة وغيرهم — فيها ونعمت والا فنحي مردودة عليه وعلى كل من خالف السلف الصالح من أتباعه وغيرهم تملا بقوله (ص) في الحديث المتفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا مالبس منه فهو رد » ولا يغترن أحد بتلك النظريات التي بنى عليها الجهمية والمعتزلة وبعض الاشاعرة والكلابية وغيرهم أقوالهم في الكلام النفسي واللفظي وجعل بعضه حقيقيا وبعضه مجازيا ووصف بعضه بالقديم وبعضه بالحادث أو تسميته مخلوقا — فكل ذلك مبني على الهرب من وصف الخالق بصفات المخلوقين لئلا يكونوا مشبهين له بخلقه ، ومذهب السلف مبني على وصفه تعالى بكل ماوصف به نفسه ووصفه به رسوله (ص) واسناد ما اسنده اليه كلامه وكلام رسوله مع الجزم بالتنزيه وكونه ليس كمثله شيء كما نزه نفسه وقامت البراهين العقلية على تنزيهه ولا تنافي بين الامرين ولا تناقض. على ان الاشاعرة قد اجمعوا بعد تفلسف بعضهم في الكلام النفسي واللفظي بما تفلسفوا به على ماهو معلوم من الدين بالضرورة من ان مابين دفتي المصحف كلام الله تعالى حقيقة ليس للنبي (ص) فيه كسب وانما هو مبلغ له عن ربه عز وجل كما أمره بقوله (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)

وجملة القول ان ما نزل به الروح الامين من كلام الله تعالى على قلب محمد (ص) هو هذا القرآن العربي ذو الاسلوب الذى علا جميع اساليب العرب فبلغه (ص) كما تلقاه ووعاه بدون أدنى تصرف فيه ولو تصرف فيه ادنى تصرف لذكر مضمون الامر دون التلفظ بفعل الامر الذي خوطب به في مثل قوله تعالى (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد) وقوله عز وجل (قل أنما امرت أن اعبد رب هذه البلدة التي حرمها) فلم يذكر لفظ « قل » في مثل هذه الآيات وهو كثير — ولو تصرف فيه ادنى تصرف لما ذكر في أثناء بعض السور ما ألقي اليه على طريقة الاستطراد الذي اقتضته الحال في وقت تبليغ السورة فكان كالاجنبي منها كقوله تعالى في سورة القيامة في سياق الكلام عن حال الانسان وشأنه في القيامة (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه * فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم ان علينا بيانه) فهذه الآيات اجنبية عما قبلها وعما بعدها خوطب

بها النبي (ص) في اثناء وحي السورة اليه لانه انشأ يقرأ بلسانه ما كان يلقى اليه قبل ان يتم وحيه خوفا ان ينسى شيئاً منه فخوطب بهذه الآيات على طريقة الالتفات الاستطرادي ليطمئن ويعلم ان الله تعالى عصمه من نسيان شيء من القرآن، وهو في معنى قوله تعالى في سورة طه (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه) ولو كان الذي ألقي اليه المعنى دون العبارة لكان تدبره واطالة الفكر فيه مع السكوت هو الذي يثبته في ذهنه بحسب العادة لا تحريك اللسان بالعبارة المكتسبة التي يؤديه هو بها فتحريك لسانه قبل نهي الله تعالى اياه عنه دليل على أنه كان يلقى اليه المعنى في العبارة المخصوصة فحرك لسانه بقراءة العبارة لئلا ينسى شيئاً منها فنهاه تعالى عن ذلك واخبره انه ضمن له العصمة من ضياع شيء منه

وقد صح في التفسير المأثور أن المراد بقوله تعالى «قرآنه» مصدر قرأ اي قراءته: اخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عباس في تفسير الآية قال: كان رسول الله (ص) يعالج من التنزيل شدة وكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة ان يتفلت منه يريد ان يحفظه فأنزل الله (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه) قال يقول ان علينا أن نجمعه في صدرك ثم تقرؤه (فاذا قرأناه) يقول اذا انزلناه عليك (فاتبع قرآنه) فاسمع له وانصت (ثم ان علينا بيانه) ان نبينه بلسانك، وفي لفظ علينا ان تقرأه، فكان رسول الله بعد ذلك اذا اتاه جبريل أطرق — وفي لفظ استمع — فاذا ذهب قرأ كما وعده الله عز وجل. وفي رواية: قرأكما أقرأه. ولو لم يرد في المسألة الا هذه الآية وتفسيرها المأثور في الصحيح لكفى بها إثباتا لكون النبي (ص) ليس له من عبارة القرآن الا حفظها كما اوحيت اليه وتبليغها كما حفظها معصوما من الخطأ والنسيان فيها، فكيف والآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة ومنها ما ذكره السائل في سؤاله الاول

واننا لا نرى فائدة ما في شرح تلك النظريات والشبهات الباطلة التي تترتب عليها ذلك القول الباطل الذي جزم السائل بكونه كفرا ولكننا نذكر السائل والقارئ بان أهل الحق يتحامون التكفير ما أمكن ويشترطون في تكفير المخالف للنصوص أن لا يكون مجتهدا متأولا، وانا ننقل هنا نبذة نافعة في هذه المسألة من كتاب (موافقة صريح

المعقول لصحيح المنقول) لشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية ، قال في أثناء شرح مسألة الكلام لالهي واقوال الفرق فيها وعبارة الاشعري التي تقدم تأويل صاحب المواقف لها ونصرة القاضي ابي بكر الباقلاني الشهير له فيما فهمه هو والجمهور منها مانصه:

«وقال الشيخ أبو الحسن محمد بن عبدالملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه [الفصول في الاصول عن الائمة الفحول] وذكر اثنى عشر اماما — الشافعي ومالك والثوري وأحمد وابن عيينه وابن المبارك والاوزاعي والليث بن سعد واسحق بن راهويه والبخاري وابو زرعة وابو حاتم قال فيه: سمعت الامام ابا منصور محمد بن احمد يقول سمعت الامام ابا بكر عبد الله بن احمد يقول سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرايني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل مسموعا من الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله صلى عليه وسلم وهو الذي تتلوه نحن بألسنتنا وفيابين الدفتين ومافي صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا ومنقوشا وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين

«قال الشيخ أبو الحسن وكان الشيخ أبو حامد (أي الاسفرايني) شديد الانكار على الباقلاني وأصحاب الكلام قال ولم تزل الائمة الشافعية يأنفون و يستنكفون أن ينسبوا الى الاشعري و يتبرؤن مما بنى الاشعري مذهبه عليه، وينهون أصحابهم وأحيانهم عن الخوض حواليه؛ على ما سمعت (من) عدة من المشايخ والائمة منهم الحافظ المؤتمن بن احمد ابن علي الساجي يقول سمعنا جماعة من المشايخ الثقات قالوا كان الشيخ أبو حامد أحمد ابن أبي طاهر الاسفرايني امام الائمة الذي طبق الارض علما وأصحابا اذا سعى الى الجمعة من قطيعته الى جامع المنصور يدخل الرباط المعروف بالزوزني المحاذي للجامع و يقبل على من حضر و يقول اشهدوا علي بأن القرآن كلام الله غير مخلوق كما قال ابن حنبل لا كما يقوله الباقلاني. وتكرر ذلك منه جمعا فقيل له في ذلك فقال حتى ينتشر في الناس وفي أهل الصلاح و يشيع الخبر في أهل البلاد أني بريء مما هم عليه بعني الاشعرية و بريء من مذهب أبي بكر الباقلاني فان جماعة من المتفقهة الغرباء

يدخلون على الباقلاني خفية ويقرؤن عليه فيفتنون بمذهبه فاذا رجعوا الى بلادهم أظهروا بدعتهم لاعالة فيظن ظان أنهم مني تعلموه وانا ما قلته وانا بريء من مذهب الباقلاني وعقيدته *

* قال الشيخ أبو الحسن وسمعت شيخي الامام أبا منصور الفقيه الاصبهاني يقول سمعت شيخنا الامام أبا بكر الزاذقاني يقول كنت في درس الشيخ أبي حامد الاسفرايني وكان ينهى أصحابه عن الكلام وعن الدخول على الباقلاني فبلغه أن نفرا من أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام فظن اني معهم ومنهم وذكر قصة قال في آخرها ان الشيخ أبا حامد قال لي يابني قد بلغني أنك تدخل على هذا الرجل يعني الباقلاني فاياك واياه فانه مبتدع يدعو الناس الى الضلالة والا فلا تحضر مجلسي فقلت أنا عائذ بالله مما قيل وتائب اليه واشهدوا عليّ اني لا أدخل اليه * قال أبو الحسن وسمعت الفقيه الامام أبا منصور سعد بن علي العجلي يقول سمعت عدة من المشايخ والائمة ببغداد — أظن الشيخ أبا أسحق الشيرازي أحدهم — قالوا كان أبو بكر الباقلاني يخرج الى الحمام متبرقعا خوفا من الشيخ أبي حامد الاسفرايني * قال ابو الحسن ومعروف شدة الشيخ أبي حامد على أهل الكلام حتى ميز أصول فقه الشافعي من أصول فقه الاشعري وعلقه عنه أبو بكر الزاذقاني وهو عندي وبه اقتدى الشيخ أبو اسحق في كتابه (اللمع والتبصرة) حتى لو وافق قول الاشعري وجها لاصحابنا ميزه وقال هو قول بعض أصحابنا وبه قالت الاشعرية ولم يعدهم من أصحاب الشافعي استنكافوا منهم ومن مذهبهم في أصول الفقه فضلا عن أصول الدين

(قلت) * هذا المنقول عن الشيخ أبي حامد وأمثاله من أئمة أصحاب الشافعي أصحاب الوجوه معروف في كتبهم المصنفة في أصول الفقه وغيرها وقد ذكر ذلك الشيخ أبو حامد والقاضي أبو الطيب وأبو اسحق الشيرازي وغير واحد بينوا مخالفة الشافعي وغيره من الائمة لقول ابن كلاب والاشعري في مسئلة الكلام التي امتاز بها ابن كلاب والاشعري عن غيرهما والا فسائر المسائل ليس لابن كلاب والاشعري بها اختصاص بل ما قالاه قاله غيرهما اما من أهل السنة واما من غيرهم بخلاف ما قاله ابن كلاب في مسئلة الكلام واتبعه عليه الاشعري فانه لم يسبق ابن كلاب الى ذلك أحد

ولا وافقه عليه أحد من رؤوس الطوائف وأصله في ذلك هي مسئلة الصفات الاختيارية ونحوها من الامور المتعلقة بمشيئته وقدرته هل تقوم بذاته أم لا. وكان السلف والائمة يثبتون ما يقوم بذاته من الصفات والافعال مطلقا والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر ذلك مطلقا فوافق ابن كلاب السلف والائمة في اثبات الصفات ووافق الجهمية في نفي قيام الافعال به وما يتعلق بمشيئته وقدرته ولهذا وغيره تكلم الناس فيمن اتبعه كالقلانسي والاشعري ونحوهما بأن في أقوالهم بقايا من الاعتزال وعدوا البقايا أصلها هو الاستدلال على حدوث العالم بطريقة الحركات فان هذا الاصل هو الذي أوقع المعتزلة في نفي الصفات والافعال. وقد ذكر الاشعري في رسالته الى أهل الثغر باب الابواب أنه طريق مبتدع في دين الرسل محرم عندهم وكذلك غير الاشعري كالخطابي وأمثاله يذكرون ذلك لكن مع هذا قد وافق ابن كلاب فيما يضاهيه وهذا الذي نقلوه من انكار ابي حامد وغيره على القاضي أبي بكر بن الباقلاني هو بسبب هذا الاصل وجرى له بسبب ذلك أمور أخرى وقام عليه الشيخ أبو حامد والشيخ أبو عبد الله بن حامد وغيرهما من العلماء من أهل العراق وخراسان والشام وأهل الحجاز ومصر مع ما كان فيه من الفضائل العظيمة والمحاسن الكثيرة والرد على الزنادقة والملحدين وأهل البدع حتى انه لم يكن في المنتسبين الى ابن كلاب والاشعري أجل منه ولا أحسن تصنيفا وبسببه انتشر هذا القول، وكان منتسبا الى الامام احمد وأهل السنة حتى كان يكتب في بعض اجوبته محمد بن الطيب الحنبلي وكان بينه وبين ابي الحسن التميمي وأهل بيته من التميميين من الموالاة والمصافاة ما هو معروف كما تقدم ذكر ذلك ولهذا غلب على التميميين موافقته في اصوله ولما صنف ابو بكر البيهقي كتابه في مناقب الامام احمد وابو بكر البيهقي موافق لابن الباقلاني في أصوله ذكر ابو بكر اعتقاد احمد الذي صنفه أبو الفضل عبد الواحد بن أبي الحسن التميمي وهو مشابه لاصول القاضي أبي بكر وقد حكى عنه أنه كان اذا درس مسئلة الكلام على أصول ابن كلاب والاشعري يقول هذا الذي ذكره أبو الحسن أشرحه لكم وأنا لم تتبين لي هذه المسئلة فكان يحكي عنه الوقف فيها اذ له في عدة من المسائل قولان وأكثر كما تنطق بذلك كتبه ومع هذا

تكلم فيه أهل العلم وفي طريقته التي أصلها هذه المسئلة بما يطول وصفه كما تكلم من قبل هؤلاء في ابن كلاب ومن وافقه حتى ذكر أبو اسمعيل الانصاري قال: سمعت أحمد بن أبي رافع وخلقا يذكرون شدة أبي حامد يعني الاسفرايني على ابن الباقلاني قال وأنا بلغت رسالة أبي سعد الى ابنه سالم ببغداد ؟ ان كنت تريد ان ترجع الى هراة فلا تقرب الباقلاني. قال: وسمعت الحسين بن أبي أمامة المالكي يقول سمعت أبي يقول لعن الله أبا ذر فانه أول من حمل الكلام الى الحرم وأول من بثه في المغاربة

قال ابن تيمية (قلت) أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به وكان قد قدم الى بغداد من هراة فاخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها الى الحرم فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم كابي نصر السجزي وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين بما ليس هذا موضعه وهو ممن يرجح طريقة الثقفي والضبعي على طريقة ابن خزيمة وامثاله من أهل الحديث . وأهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به و يأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة ويدلهم على أصلها فيرحل منهم من يرحل الى المشرق كما رحل أبو الوليد الباجي فأخذ طريقة أبي جعفر السمناني الحنفي صاحب القاضي ابي بكر ورحل بعده القاضي أبو بكر بن العربي فأخذ طريقة أبي المعالي[1] في الارشاد

«ثم انه مامن هؤلاء الا من له في الاسلام مساع مشكورة ، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الالحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين مالا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيه بصدق وعدل وانصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الاصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة وهم فضلاء عقلاء احتاجوا الى طرده والتزام لوازمه فلزمهم بسبب ذلك من الاقوال ما أنكرها المسلمون من أهل العلم والدين وصار الناس بسبب ذلك منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الامور أوسطها. وهذا

(١) هو امام الحرمين شيخ أبي حامد الغزالي شيخ ابن العربي

ليس مخصوصا بهؤلاء بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات، (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم)

«ولا ريب ان من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه تحقيقا للدعاء الذي استجابه الله لنبيه والمؤمنين حيث قالوا (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) ومن اتبع ظنه وهواه فأخذ يتكلم على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صوابا بعد اجتهاده وهي من البدع المخالفة للسنة فانه يلزمه ان ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو من أصحابه فقل من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين لكثرة الاشتباه والاضطراب وبعد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب، ويزول عن القلوب الشك والارتياب، ولهذا تجد كثيرا من المتأخرين من علماء الطوائف يتناقضون في مثل هذه الاصول ولوازمها فيقولون القول الموافق للسنة وينفون ما هو من لوازمه غير ظانين أنه ينافيه ويقولون بلازمات القول المنافي الذي ينافي ما أثبتوه من السنة وربما كفروا من خالفهم في القول المنافي ولازماته فيكون مضمون قولهم أن يقولوا قولا ويكفروا من يقوله !! وهذا يوجد لكثير منهم في الحال الواحد لعدم تفطنه لتناقض القولين ويوجد في الحالين لاختلاف نظره واجتهاده. وسبب ذلك ما أوقعه اهل الالحاد والضلال من الالفاظ المجملة التي يظن الظان انه لا يدخل فيها الا الحق والباطل، فمن لم ينتب عنها أو يستفصل المتكلم بها كما كان السلف والأئمة يفعلونه صار متناقضا أو مبتدعا ضالا من حيث لا يشعر، وكثير ممن تكلم بالالفاظ المجملة المبتدعة كلفظ الجسم والجوهر والعرض وحلول الحوادث ونحو ذلك كانوا يظنون أنهم ينصرون الاسلام بهذه الطريقة وانهم بذلك يبينون معرفة الله وتصديق رسله، فوقع من الخطأ والضلال ما أوجب ذلك. وهذه حال أهل البدع كالخوارج وامثالهم فان البدعة لا تكون حقا محضا موافقا للسنة اذ لو كانت كذلك لم تكن باطلا. ولا تكون باطلا محضا لا حق فيه اذ لو كانت كذلك لم تخف على الناس، ولكن تشتمل على حق وباطل فيكون صاحبها قد لبس الحق بالباطل، اما مخطئا غالطا واما متعمدا

النفاق فيه والجاد كما قال تعالى (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) فأخبر ان المنافقين لو خرجوا في جيش المسلمين مازادوهم الا خبالا ولكانوا يسعون بينهم مسرعين يطلبون لهم الفتنة وفي المؤمنين من يقبل منهم ويستجيب لهم إما لظن مخطئ أو لنوع من الهوى او لمجموعهما، فان المؤمن قد يدخل عليه الشيطان بنوع من الظن واتباع هواه

«ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ان الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات» ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات وقد أمر المؤمنين أن يقولوا في صلاتهم (اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فالمغضوب عليهم عرفوا الحق ولم يعملوا به والضالون عبدوا الله بلا علم، ولهذا نزه الله نبيه عن الامرين بقوله (والنجم اذا هوى ، ماضل صاحبكم وماغوى) وقال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار) اه كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو فصل الخطاب في هذا الباب

ترجمة الطبيب محمد توفيق صدقي

نعي الينا صديقنا الصفي الوفي الطبيب النطاسي محمد توفيق صدقي ، ونحن في دمشق الشام بمبدين عن إدارة المنار واشتغال عنها بأعمال المؤتمر السوري الذي اختارنا لرياسته هنالك فكتبنا المنار نبذة وجيزة في تأبينه نشرت في الجزء الثامن منه ووعدنا بكتابة ترجمة مفصلة له . وبعد عودتنا الى مصر اطلعنا على ترجمة تاريخية له في العدد السادس من المجلة الطبية الذي صدر في شهر مايو سنة ١٩٢٠ فرأينا ان ننقلها في المنار ثم نقفي عليها بما نعلم من ترجمة العلمية الاصلاحية وهذا نص ما نشر في المجلة الطبية

المرحوم الدكتور محمد توفيق صدقي

«ننعي اليوم الى أهل الادب والطب سواء رجلا من أندر الرجال وعالما من العلماء الذين قضوا حياتهم في مزج الطب بالعلم الشرعي وتطبيق المبادئ الاسلامية